



تضيف حزمة الرسائل الغزيرة في زيارة وزير الدولة السعودي لشؤون الخليج، ثامر السبهان، محافظة الرقة في شمال سوريا، أخيرا، مستجداً مهماً إلى متاهات الجغرافيا السورية وخرائطها السياسية، العویصة والمتعلقة، حكماً وبالضرورة، بالإقليم، حيث الجوار هو العراق وإيران وتركيا. يزيد من أهمية الزيارة أن السبهان كان مصحوباً، فيها، وفي الاجتماعات التي عقدها في غير بلدة في المحافظة (على ما ذاع من أخبار)، مع المبعوث الأميركي الخاص للتحالف الدولي ضد تنظيم الدولة الإسلامية (داعش)، الجنرال بريت ماكونورك.

وإذا كان ميسوراً الواقع على رسائل هذه الزيارة التي يقوم بها مسؤول سعودي إلى الرقة، فور تحريرها من احتلال تنظيم داعش الإرهابي، إلى النظام في دمشق وتركيا وإيران، فإنه يبقى غير ميسور، تماماً، الواقع على كيفيات اشتغال العقل السياسي السعودي الراهن، كما ينبغي بها هبوط ثامر السبهان في مدينة بني عيسى في محافظة سوريا، وجلوسه فيها إلى مسؤولين عسكريين في قوات سوريا الديمقراطية (قسد) التي تتبع حزب الاتحاد الديمقراطي (الكردي) الملتحق بحزب العمال الكردستاني، الإرهابي في أعراف تركيا وغيرها.

هل ثمة رؤية محكمة في سياسة سعودية مرتبطة في الملف السوري، وحواشيه التركية والإيرانية (والكردية)، اهتمى إليها العقل المشار إليه، بعد درس الحسابات والرهانات، فجاءت اجتماعات وزيرٍ يعني بشؤون الخليج (!) في بني عيسى (وغيرها)، برفقة جنرال أمريكي، خطوةً مبنيةً على هذه الرؤية؟ أم أن القصة وما فيها مجرد اختبار موضعى، أريد منه تحسّس آثاره، قبل المضي إلى خطواتٍ لاحقةٍ مبنيةٍ عليه؟ لا يستقيم، في حساباتٍ أولى وتفكيرٍ عابر، أن يكون السفير السعودي السابق في بغداد، ثامر السبهان، والموصوف بأنه مندفعٍ ومتهمس، قد حطَّ رحاله في مضارب عشائر الرقة، من أجل تسلم ثلاثين سعودياً داعشياً تمّ أسرهم، على ما قيل. وإنما يستقيم القول، ربما وإلى حد كبير، إن الرياض إنما تبدأ، في

السهم الذي رمته مع السبهان في الرمال السورية شمala، تمرينا أول في خيارٍ سياسي، تنوي تجربته، بعد أن وصل إلى قناعتها غير الخافية أن بقاء الأسد رئيساً أمْ لا ردّ له، وليس في وسعها أن تخربش عليه، بل يمكنها التعاطي معه، وإنْ بمضضٍ أولاً، وبمقادير من الأريحية تاليًا. وإذا كان معلقون لبنانيون مشايعون للأسد قد امتعضوا من أن قفزة السبهان المفاجئة إلى أرضٍ سوريٍّ تمت من دون تنسيق مع السلطة في دمشق، فإن الأخيرة لم تزعج من هذا، بل استحسنـت هذه الحركة السعودية باتجاه حزبِ كردي صديق للنظام، وإنْ كان ذا هوِ انفصالي، فضلاً عن أنها حركةٌ تغضب أنقرة، في غضون توفر معلن في العلاقات التركية الأميركية، وهذا وحده يبعث على السعادة في دمشق. وإذا صحَّ أن من أغراض الزيارة البحث في مسألة إعادة إعمار الرقة التي دمرت نحو أربعة آلاف غارة للتحالف الدولي ما بين 60% إلى 80% من مبانيهَا، فيها ونعمت، وإنْ يجري الأمر برغبة أميركية.

أما القول إن الرياض أرادت، في سحابة النهار الذي أمضاه وزيرها في الرقة، أن تعرف طهران بأنها لن تغيب عن سورية بعد الآن، وإنْ أخذتها الخسارات في هذا البلد إلى خيباتٍ سياسيةٍ وميدانيةٍ معلومة، وإنْ أشغلتها وقائع اليمن الحوثية الصعبة، إذا أرادت الرياض أن تستعد لإيران لهذا الأمر، فإن الأخيرة، كما يبدو، ستقابل هذه الرسالة باكتراطٍ قليل، فللميدان حساباته الأخرى، في عموم الحالة السورية، وليس في مقطعٍ عشائرٍ سنيٍّ فحسب، وإنْ في الصلات مع موسكو استحقاقات أعرض مما توهّمته السعودية في الكلام الجميل الذي سمعه الملك سلمان من الرئيس بوتين، قبل أيام في الكرملين. وإذا صحَّ أن الرئيس الروسي سمع من ضيفه أنه يرضى بوجود الأسد على أن تغادر إيران سورية، فإنه على الأرجح كتم تعقيباً، منعت الлиاقات إفشاءه، وموجزه أن الزمن قد أجرى تضاريسه الأقوى في السنوات الثلاث الماضية، وأن الحقائق التي قامت أثقل من أن يمحوها الرحبُ والسعةُ اللذان استُقبل بهما الملك في موسكو... ولعلها حقائق مشابهة، في الرقة وغيرها، أثقل أيضاً من أن يبدّلها الرحبُ والسعةُ اللذان احتفيا بثامر السبهان، برفقة جنرالٍ أميركي، فيبني عيسى في محافظة الرقة المحررة أخيراً من "داعش" في شمال سورية.

المصادر:

العربي الجديد